أليس من الأجدي للحركة الأدبية في إطار تلك الأصول المتعددة أن تتخلى عن تلك القعقعة اللفظية التى تدعي التجديد تحت مصطلح جديد كل يوم بما قد يزج بنا فى تيه نقدى قد لا نطمئن إلى نهايته ، ولا نضمن له نجاحا ، بدليل سرعة الفشل الذى قد يأتى على تلك الصيحات لدى أهلها وفى عالم نشأتها ، فما بالنا بها تنتقل إلينا بالية وقدآذنت شمسها بالأفول في عالمها الأصلى . وما بالنا نصفق لها حماساً وانفعالاً وننسى الثوابت من الأصول على خطر دلالتها وأهميتها ؟ . .

أليس من الأجدي أيضا أن نأخذ الموقف على درجة من الوضوح تبعد عن الاستغراق فى تلك الطلاسم ، أو الوقوع فى خضم ذلك الغموض المفتعل الذى قد يخيم على النص من خلال ناقده ، فإذا كان النص أصلا غامضا من قبل مبدعه فما بالنا نزيد الموقف قتامة وغموضا فى عالم سيطر عليه الزحام إلى هذه الدرجة ؟

ومع طرح هذا التصور النقدى - المبدئى - فنحن لا نستسلم لانتكاسة الفكر ولا للردة الثقافية التى قد تسهم فى فصل الفن عن عصره وعالمه ، ولانرحب بذلك العقوق الآثم الذى قد يسقط التراث تحت دعاوى التجديد من فراغ ، وكأنما سيطرت عليها الرعونة وغلبة منطق الطيش ، بل الأجدى أن نرحب بذلك المزاوجة السعيدة الهادئة بين كل الملامح النقدية - على بساطتها ووضوحها - بعيدا عن عقدة الجرى حول الجديد تحت الشمس في كل لحظة حتى قبل شروق الشمس خضوعا للإيقاع السريع أو أملا فى التجاوز عبر سباق زحام الحياة .. بل لابد أن يبدو هذا الجرى محكوما بروية صاحبه وحكمته أيضا فى منطقة الاختيار ، ثم فى عالم الجمال حال صياغة العمل الفنى .

ومن هذا المنطلق نطرح الاقتراح بضرورة إعادة القراءة ، بل نلح على تعدُّد القراءات لتراثنا القديم إبداعا كان أو نقدا ، على أن تكون القراءة متميزة لتسهم فى تعميق تلك المحاولات التى عرض منها جانبا الدكتور ناصف فى قراءته الثانية لشعرنا القديم ،ومانهض به صلاح عبد الصبور من قراءاته الجديدة والسريعة لنماذج من الشعر القديم أيضا ، وكذا ما صنعه الدكتور النويهي فى الشعر الجاهلى ومنهج تقويمه ، وغير ها كثير من الدراسات التى فتحت آفاقا جديدة من خلال التقاء ضرورات الحياة الأدبية بعناصرها البشرية بين ناقد ومبدع وجمهور ، وتتبلور فيها ملامح الفكر وتبرز صور الالتزام أو الاغتراب كقضايا إنسانية إلى